

مفهوم القيمة عند علماء الاجتماع ودورها في تنمية المهارة اللغوية لدى المتلقي

The concept of value for sociologists and its role in developing the recipient's linguistic skill

عائشة عيساوي طالبة دكتوراه

Aicha Aissaoui PhD student

جامعة البليدة 2

University of Blida 2

أحمد حجاج، أستاذ محاضر أ

Ahmed Hadjadj lecturer prof

جامعة الأغواط عمار ثليجي

University of Laghouat Ammar Thaledji

تاريخ القبول: 2021/02/12

تاريخ الإرسال: 2020/11/14

Abstract: We stand at a very important issue in the field of education and in the development of the educational and learning act among the learners, and because social upbringing is important in instilling values so that the personal values of the child are affected by the social system in which he lives, namely the family, school, religion, culture, community, surrounding environment, so the child absorbs the value Through friction in this system, directly or indirectly.

This value system is like an engineering blueprint that works to form the psychological entity of the child, through his sense of right and wrong, knowing his expectations from others and others' expectations of him and determining his role and how to do it fully in addition to enabling him to have social discipline in accordance with recognized ethical rules, achieving these values and standards Which he rules during his life.

Key words: value, social values, equality, tolerance, indoctrination, language practice, social discipline, socialization, learning skills.

ملخص: نقف عند قضية جد هامة في ميدان التعليم وفي تطوير الفعل التعليمي والتعلمي لدى المتعلمين ، ولأن التنشئة الاجتماعية مهمة في غرس القيم بحيث تتأثر القيم الشخصية للطفل بالمنظومة الاجتماعية التي يعيش فيها وهي الأسرة ، المدرسة ، الدين، الثقافة، المجتمعية، البيئة المحيطة، فيتشرب الطفل قيمة من خلال إحتكاكه في هذه المنظومة بشكل مباشر أو غير مباشر.

وهذه المنظومة القيمية بمثابة المخطط الهندسي الذي يعمل على تشكيل الكيان النفسي للطفل، من خلال إحساسه بالصواب والخطأ ومعرفة توقعاته من الآخرين وتوقعات الآخرين منه وتحديد دوره وكيفية القيام به على أتم وجه إضافة إلى تمكينه من الانضباط الاجتماعي وفقا للقواعد الأخلاقية المتعارف عليها، محققا بذلك القيم والمعايير التي يحكمها خلال حياته.

ويرى علماء الاجتماع أنه توجب علينا كأهل ومربين أن نضع القواعد والقوانين التي تساعد في خلق بيئة أسرية إيجابية تمكن الطفل من إكتساب القيم الحسنة وتدفع عنه القيم السيئة، وعلينا الحرص على إكتساب مهارات التواصل الفعال وذلك بتعزيز اللغة الأم ، والإصغاء الإيجابي الذي يشجع الطفل دائما على سماعنا وتلقي ما هو مفيد له أي التعليم بشكل أخص وفتح باب الحوار والمناقشة لتنمية قدراته الفكرية وتمكينه من ممارسة اللغة وبناء هوية ثقافية لدى المتلقي.

الكلمات المفتاحية: القيمة، القيم الاجتماعية ، المساواة ، التسامح ، التلقين، ممارسة اللغة، الانضباط الاجتماعي، التنشئة الاجتماعية، مهارات التعلم ، المنظومة.

1. مقدمة:

• سرعة تطوّر الحياة، وغلبة المصالح

الفردية على المصالح العامة. ا

• انعدام الوعي الكافي بجدوى وقيمة القيم

في الحياة عند البعض.

• اتباع الهوى والشهوات.

• الصحة السيئة، وبها يتأثر الصديق

بسجاي صديقه وطباعه السيئة.

2-2-: سبل بناء وتعزيز القيم الاجتماعية للطفل:

* التنشئة الأسرية السوية، حيث تغرس القيم والأخلاق

في الأبناء، ويمثل الأبوان الأسوة الحسنة للطفل، فإذا صلحا

صلح الطفل، وإذا فسد فسد الطفل أيضاً.

* النظام التعليمي المتكامل الذي يركز على حاجات

الطفل النفسية والعقلية على حد سواء، ويعتمد إلى توجيه

سلوك الطفل ورعايته باستمرار.

* الإعلام، وذلك يجعل القيم ميداناً من ميادينه وهدفاً

من أهدافه.

* التربية الدينية، سواء كانت في الأسرة، أم من خلال

التوجيه في المساجد، أم المدارس، أم الإعلام، فكلّ هذه

حلقات متكاملة في التربية والبناء، والتكوين.

* القدوة الحسنة، ولا سيما في المدرسة والبيت من قبل

المدرسين لطلابهم، ومن قبل أولياء الأمور لأبنائهم.

3-: مفهوم القيم:

لقيم تُعرف لغةً بأنها جمعٌ لكلمة قيمة، وهي الشيء ذو

المقدار، أو الثمن، وتُعرف اصطلاحاً بأنها مجموعة الصفات

الأخلاقية، التي يتميّز فيها البشر، وتقوم الحياة الاجتماعية

عليها، ويتم التعبير عنها باستخدام الأقوال والأفعال، وتُعرف

أيضاً بأنها مجموعة من الأخلاق الفاضلة التي اعتمدت على

التربية الإسلامية في توجيه السلوك البشري للقيام بكل

القيم من أهم الركائز التي تُبنى عليها المجتمعات، وتقام

عليها الأمم، وتتعلق القيم بالأخلاق والمبادئ، وهي معايير

عامة وضابطة للسلوك البشري الصحيح، والقيم

الاجتماعية هي الخصائص أو الصفات المحببة والمرغوب فيها

لدى أفراد المجتمع، والتي تحددها ثقافته مثل التسامح

والقوة، وللقيم الاجتماعية أمثلة وأنواع، ولها أسباب تؤدي

إلى غيابها عن واقع الحياة، كما أنّ هناك سبل تعزيزها و

بنائها.

2. أهمية القيم الاجتماعية:

تُعَدُّ القيم الاجتماعية والأخلاق من أقوى ما تبنى به

المجتمعات، ومن أهم الروابط التي تربط بين أفراد المجتمع،

ففيها تنتشر المحبة بين أفراد المجتمع، وتعم الأخوة بينهم،

ويقوى التماسك والترابط بينهم بهذه القيم، فهي الضمانة

لاستقرار المجتمعات وازدهارها، ونجد أنّ الأمم التي تنهار

بداية انهيارها إنّما تكون في انهيار القيم والأخلاق؛ فلا يمكن

فصل القيم عن الأخلاق، فهي تشترك معاً في تحديد وضبط

السلوك البشري في وجهته العامة والخاصة، قال الشاعر في

حديثه عن الأخلاق: إنّما الأمم الأخلاق ما بقيت وإن هم

ذهبت أخلاقهم ذهبوا .

2-1- أسباب تراجع القيم في المجتمع :

• ضعف الوازع الديني عند الأفراد.

• التأثير بتكنولوجيا الاتصال والتواصل،

حيث يتم ضخ العديد من القيم السلبية عبرها،

فإذا كان لشبكات التواصل الحديثة إيجابيات،

فلها أيضاً سلبيات.

• الإعلام، وذلك عبر منابر المختلفة

المسموعة، والمرئية، والمقروءة.

إلى التقيّد بكلّ قيمة تدل على الخير، والتخلّي عن أيّ قيمة تنتج عنها تصرفات غير مقبولة. التعليم هو العامل الذي يُساهم في زرع القيم الحسنة عند الأفراد، من خلال توعيتهم بأهميتها عن طريق الدروس المفيدة التي تُعطى للطلاب في المدارس، والمؤسسات التعليمية، والتي تهدف إلى صقل شخصياتهم وفقاً للقيم الحميدة، وأيضاً يُعدّ التعليم وسيلة من الوسائل التي تُعرّف الطلاب بالقيم المقبولة وغير المقبولة في المجتمع؛ لأنه يعكس طبيعة البيئة التي تُحيط بالطلاب بصفته يُساهم في تطوير نوعية تفكيرهم، وتقييمهم للأحداث المحيطة بهم. البيئة المحيطة هي عامل لا يقلّ تأثيراً عن باقي العوامل السابقة، وذلك بسبب دورها في جعل الأفراد يتعرّفون على القيم المرتبطة بالمجتمع المحيط بهم، وقد تختلف عن القيم التي عرفوها داخل عائلاتهم، وعادةً يبدأ الإنسان في تعلّم القيم الجديدة في مرحلة الطفولة الواعية، والتي يخرج فيها من المنزل للعب مع الأطفال الآخرين، فيكتشف بذلك قيماً جديدةً تختلف أو تتشابه مع القيم التي يعرفها.

تتميز الأشياء من حولنا بمعرفة قيمتها المادية أو المعنوية، فيقال الأشياء القيّمة تحظى بمكانة أعظم من الأشياء عديمة القيمة، فعلى مستوى الأشياء، نجد أنّ للقيمة أثرها في إعلاء مكانة الشيء لأجل قدره وثمنه ومكانته، فالقيمة أكسبته مكانة ميّزته عن غيره من الأشياء التي لا تتحلّى بذات القيمة والقدر، فهناك قيمة عظمى للمنجزات العلمية الكبرى، وكذلك الآثار التاريخية، والعملات العالمية تتغير قيمها؛ أي مقادير صرفها. أما على المستوى الإنساني والمجتمعي، فالقيم ما هي إلا مجموعة الفضائل الدينية والاجتماعية، ومنظومة الأخلاق التي تضبط تفاعل المجتمع، فيُقال: الدّين القيم؛ أي المنهج المعتدل السامي الذي يحتكم له المجتمع، للثبّت من الصواب والخطأ في أقوالهم وأفعالهم، لتجنّب الانحراف أو الخلل. إنّ المجتمع يعتمد على القيم، إذ يستمد منها مرجعيته الأخلاقية والثقافية، ويتخذها كميّار

عمل، أو قول يدلّ على الخير. من تعريفات القيم الاجتماعية هي أنّها معايير، وأسس متعارف عليها ضمن المجتمع الواحد، وتُشير إلى طرق تعامل الأفراد معاً، والموافقة على السلوك المقبول، ورفض غير المقبول.

3-1- خصائص القيم :

من الخصائص التي تتميز فيها القيم: تعدد صفة من الصفات الإنسانية، والتي يسعى كل فرد للمحافظة عليها. تحتوي على جانبين أحدهما إيجابي، والآخر سلبي، ويعتمد تصنيف كل قيمة بناءً على نظرة الناس لها. تجعل الإنسان يتصرّف وفقاً لسلوك معين. تمنع الأفراد من القيام بتصرفات لا تتناسب مع القيم الحسنة. اكتسبت صفة الاستمرارية؛ بسبب محافظة الناس على تطبيقها. تختلف القيم عن بعضها البعض في مجال تأثيرها على الأفراد. تبرز السلوك الذي يتبعه الشخص أثناء التعامل مع الأشخاص الآخرين. تمتاز الأخلاق بأنّها من أهم أنواع القيم البشرية. .

3-2- أهمية القيم في التعليم:

للقيم أهمية كبيرة في المجتمعات البشرية، والتي تُلخص وفقاً للنقاط التالية: لا يوجد اختلاف بين الناس على دورها المؤثّر في الحياة البشرية. تساهم في تغيير السلوك السيئ، وتحويله إلى جيد. ترتبط بالإرادة البشرية، والتي تدفع الإنسان للالتزام بالقيم. تعتبر وسيلة من وسائل نخوض المجتمع. عوامل تنمية القيم توجد مجموعة من العوامل تؤثر في القيم، وتُنتجها، وينعكس التأثير الخاص بها على الأفراد داخل المجتمع الواحد، ومنها:

التربية هي عامل مهم من عوامل تنمية القيم عند الأفراد، وتعدّ العامل الأول الذي يُنمّي القيم الخاصة بهم، فيأتي دور العائلة المهم في تربية أطفالهم على القيم الحسنة، والتي ترتبط بالأخلاق، والالتزام بالتعاليم الدينية التي تدعو

هي المرحلة الأولى في رحلة اكتساب اللغة، تبدأ منذ الولادة وحتى الأسبوع الثامن بالعادة من عمر الطفل، وتنقسم إلى ثلاثة أقسام:

الصراخ: يصرخ الطفل فور ولادته ليبدّل على قدرته على التعبير عن نفسه، وليبدّل على نموّ الحنجرة والجهاز التنفسي اللذين يُعدّان من ضروريات نموّ القدرة على التكلّم، والصراخ يبدّل كذلك على ردّ فعلٍ لأمرٍ طرأ على الطفل مثل الجوع أو الألم أو التعب.

*** المناغاة:** يبدأ الطفل بالمناغاة منذ شهره الرابع أو السادس وحتى السنة من عمره بالعادة، وتختلف عن الصراخ بأنّها أصواتٌ يُصدرها الطفل إرادياً، وتكون عادةً نتيجةً لسلامة جهاز الطفل السّميّ اللفظي، لأنّه يتّخذها تسليّةً كلّما سمع صوته وهو يُناغي، بينما لوحظ أنّ الأطفال الصّمّ لا يَمُرّون بمرحلة المناغاة بل يعبّرون عن ذاتهم بالصراخ حتّى في هذا السن.

*** المحاكاة:** تبدأ مرحلة المحاكاة بعد الشّهر التاسع من عمر الطفل في العادة، وهو عبارةٌ عن جسرٍ يوصل الطفل إلى لغة الكلام الحقيقيّ والمفهوم، وينطق الطفل في هذه المرحلة كلماته الأولى، مع وجود فوارق فرديّة بين كلّ طفلٍ لآخر من قدراتٍ عقليّة، وسرّ، وجنس، وبيئةٍ مساعدةٍ على التعلّم، وما إن يبلغ الطفل السنّة من عمره حتّى يتمكّن من تقليد ومحاكاة الكلمات التي يسمعها أو أصواتها على الأقل، ويتمكّن من ترديد الكلمات الرّاسخة في عقله في السنة الثّانية من عمره.

4-2: مرحلة الكلام المفهوم هي المرحلة التي تبدأ ما

بعد السنّة الأولى من عمر الطفل، حيث يفهم بها الطفل معاني الكلمات التي يلفظها، ويستخدم عناصر ربطٍ سليمة، وتنقسم إلى ثلاثة أقسام:

يحتكم إليه، فيقبل ما يوافقها ويرفض ما يتعارض معها، إلّا أنّ ضرورة الاحتكام لها قد تختلف من شخصٍ لآخر، حسب مدى اقتناعه بها ووعيه بأهميتها، فالقيم تنقسم لقيم شخصية وأخرى جماعية، حيث يُكوّن اندماجهما القيم المجتمعية، المتشكلة من موروثات العادات، والتقاليد، والتعاليم الدينية، وروابط العلاقات بين أفراد المجتمع، ومستوى ثقافته، وتعلمه، فالقيم بلا شك تعود بالنفع على الفرد والمجتمع، إذ تمنحه مكانة تميزه وترفع من شأن حاضره ومستقبله. تعريف مفهوم المبادئ تتعدد معاني المبدأ أو المبادئ وفقاً لموضع استخدامها، فمبدأ الخلق؛ أي أوله وأصل نشأته، ومبادئ العلم؛ هي القواعد التي تأسس عليها العلم ولا يحيد عنها، أما مبادئ اللغة؛ هي المعلومات الأولية فيها، والمبادئ الأخلاقية؛ هي معايير الفرد والمجتمع المنبثقة عن معتقده وقناعاته، والمستندة لأساس علمي، تضبط فكر وسلوك من يؤمن بها ويتمسك بتطبيقها. إن المبادئ بمفهومها العام؛ هي مجموعة من القواعد والقوانين الرئيسية؛ التي تفسر كيفية عمل السلوكيات الخاصة والأحداث العامة، وتبيّن منطلقاتها ومراكزها، فيقال: المؤسسة تعتمد مبادئ الحرية الشخصية، كحرية التعبير والمساواة بين كافة موظفيها؛ أي أنّها تتبنى هذه القوانين وتبني أنشطتها وأحكامها على أساسها وتسعى لتوطيدها، ومما يوضح معنى مفهوم المبادئ، هو السؤال المتكرر، هل تتفق مع هذا "المبدأ"، أم تختلف معه؟ كمثال، والمقصود هنا إن كانت الإجابة نعم، أننا نتفق على أساس هذه القواعد والمرجعيات، وإن تباينت وجهات النظر في تطبيقها أو أشكال التعبير عنها، ولذلك يُقال: نحن نتفق معه من حيث المبدأ، ونخالفه من حيث التطبيق. فالمبادئ ماهي إلا الأسس التي تبنى عليها الأفكار والأقوال والأفعال للفرد والمجتمع.

4-4: مراحل اكتساب اللغة عند الأطفال:

4-1: مرحلة ما قبل اكتساب اللغة :

ويعود ذلك إلى وجود الوقت الكافي لتعليم الطفل والقدرة على بذل مجهود أكثر، أمّا في العائلة الكبيرة لا يوجد الوقت الكافي لتعليم الطفل. جنس الطفل: بيّنت نتائج الدراسات أن الأطفال الإناث في مرحلة ما قبل المدرسة أكثر قدرة على التكلّم والتعبير من الأطفال الذكور، بمعنى آخر أنّ النّمّو اللغويّ عند الإناث يكون أسرع منه عند الذكور.

القيم المدرسية والتربوية:

إنّ من وظيفة المدرسة بالإضافة إلى إكساب الطالب المهارات العلميّة والمعرفيّة المختلفة، إكساب الطالب جانب كبير من القيم والأخلاق والاتجاهات الإيجابية في الحياة، فالمدرسة وما تقوم عليه من منهاج، ومدرسين، ونظم تعليميّة، ووسائل منبّغ خصب للقيم والاتجاهات السلوكيّة عند الأفراد، وهناك نماذج وأمثلة على القيم والاتجاهات السلوكية في المدرسة، كما أنّ هناك سبل لنشرها، ومعوّقات تعترض نشرها في ذات الوقت. أمثلة على القيم والاتجاهات الإيجابية هناك العديد من القيم السلوكيّة والاتجاهات يمكن إكسابها للطلاب في المدرسة، منها: الإيثار، والتعاون والبدل، والتضحية، والكرم والسخاء، والجّد والمثابرة، والحياء، واحترام الغير والنظافة، والانتماء للوطن واحترام المعلمين، وحبّ المدرسة، وغير ذلك. مصادر القيم في المجتمع هناك عدة مصادر لاكتساب القيم منها: الأبوان وما يزرعانه معاً من القيم إمّا سلباً وإمّا إيجابياً. الدين والرسالات السماوية. الفطرة البشريّة السويّة. العادات والتقاليد. المصادر الثقافيّة المتنوّعة. الإعلام الهادف بأشكاله المتعددة المجتمع وعلاقاته المتشعّبة المساجد والدور العظيم الذي تقوم به. سبل نشر القيم في المدرسة يمكن نشر القيم في المدرسة من خلال: المنهاج وما يتضمنه من معارف قيميّة، حيث يتمّ تعريفها للطلاب وتوضيح عناصرها. القدوة الحسنة والمحاكاة، بتوفر النموذج الإيجابي أمام الطلاب فلا بدّ من التزام المدرّس بهذا النموذج، فلا يعقل مثلاً أن يتحدث المدرّس في حصّة العلوم أو الصحة عن أضرار التدخين، وفي

1-2-4:مرحلة التعابير الأحادية: تبدأ من

الشهر الثامن عشر وحتى السنتين من عمر الطفل؛ حيث يلفظ كلماتٍ فرديةً عند إشارته أو رغبته بشيءٍ ما.

2-2-4:المرحلة التحوّية: تبدأ من عمر

السنتين وحتى الخمس سنوات؛ حيث يبدأ بها الطفل بفهم نحو وقواعد اللّغة، وتركيب جملٍ جديدةٍ بناءً عليها.

3-2-4:المرحلة المتقدّمة: تبدأ من عمر

الخمس سنواتٍ في العادة، حيث يتمكّن بها الطفل من الكلام بطريقةٍ سليمةٍ وواضحةٍ ومفهومةٍ مع استخدام الضّمائر والدّلالات الصّحيحة.

2-4- مفهوم النّمّو اللغويّ عند التلاميذ:

المقصود فيه نموّ مهارات التعبير ومهارات الاستماع عند الأطفال، وكلّ ما يتبع هذه المهارات من ترابط وتسلسل الكلام، فالنّمّو الحركيّ والحسيّ عند الأطفال يلعب دوراً كبيراً في القدرة على اكتساب اللغة، كما أنّ مستوى النّمّو العقليّ عند الأطفال يؤثّر في القدرة على محاكاة البيئة المحيطة. عوامل تؤثّر في النّمّو اللغويّ عند الأطفال مستوى الذكاء: كلما ارتفع مستوى ذكاء الطفل زادت سرعته في تعلم أو اكتساب المهارات اللغويّة والكلاميّة أو التعبيريّة. ترتيب الطفل بين إخوته: يأخذ الابن الأكبر النصيب الأكبر من الوقت لتعليمه من الوالدان. وبالتالي يكون النّمّو اللغويّ والتعبيريّ أكثر عند الابن البكر. المستوى الاقتصادي والاجتماعي: كلما كان المستوى الاجتماعي والاقتصادي أعلى كلّما كانت الأنشطة التي تمارس مع الأطفال أكثر تنوعاً وأكثر تنظيمًا، ممّا يتيح فرصة كبيرة للطفل على اكتساب المفردات والقدرة الجيّدة على التعبير والكلام. حجم العائلة: العائلة الصغيرة توفر جو مناسب للطفل على تعلم الكلام وزيادة المخزون اللفظيّ عنده،

البعد الاجتماعي إذن يكسب الطفل تلك المعايير و القيم و التي على أساسها يوجه سلوكاته و يتفاعل مع الآخرين، من خلال الأدوار الاجتماعية التي يكتسبها تدريجيا عبر مراحل عمرية مختلفة و التي تشكل في الأخير شخصيته بكل التعقيدات التي تحتويها.

علم الاجتماع التربوي أو سوسولوجيا التربية جاءت لتمدنا بأبحاث و دراسات تحتم بمعرفة دوافع السلوك الاجتماعي لدى الطفل و علاقته مع بيئته الاجتماعية المحيطة بغية فهم هذا السلوك و وصفه و التنبؤ به و التحكم فيه و تطويعه لخدمة أهداف تربوية تمكن من الإلمام بجوانب قد تكون مصيرية بالنسبة لمسار الطفل في اكتساب التعليمات و المهارات و المعارف الضرورية، و الاندماج في المجتمع بطريقة لا تقصي اختلافاته الفردية و لا خصوصياتها الثقافية.

ومن اهم علماء الاجتماع الذين تناولوا دور القيمة في تنمية المهارات اللغوية للمتعلمين:

تصنيفات القيم عند علماء الاجتماع:

1. تصنيفها

عند "كلوكهون": يعتمد كلوكهون في تصنيفه القيم على عامل الانتشار. ووجد أنها فئتان رئيستان هما: القيم العامة في المجتمعات، والقيم الخاصة بجماعات اجتماعية معينة. وواضح من خلال هذا التصنيف أن القيمة الأكثر انتشارا هي القيمة الأقوى.

2. تصنيفها

عند "نلسون": أما نلسون فأخضع القيم في تصنيفه إلى صفتين هما: التقليدية والعقلية، فعنده، نرى أن القيم إما

الاستراحة يراه الطالب مدخناً، أو يتحدث عن قيمة النظافة والترتيب، ويرى الطالب مكتبه غير منظم، أو يتحدث عن الصلاة، وهو لا يحافظ على أدائها في وقتها، وهكذا. الغرس الوجداني للقيم بالتخطيط لأهداف وجدائية في الحصّة الصفية يتم التركيز عليها. السلوك، بمتابعة سلوك الطالب وتعزيزه باستمرار. التشويق والتحفيز والترغيب والترهيب، ببيان الآثار الإيجابية للالتزام بالقيم، والعواقب السلبية التي تنتج عن عدم التحلي بها.

أسباب تدني مستوى القيم بين التلاميذ:

افتقار القيم الجيدة في الأسرة، فيتجمع الطلاب في المدرسة وكلّ يقدم ما لديه من أخلاق سيئة حملها معه من المنزل. الاختلاط بين الجنسين وما ينتج عنه من مفاصد متوقعة. اكتظاظ الغرف الصفية بالطلاب، ممّا يجعلهم في وضع نفسي سيء يأخذ ردات فعل سلوكية سيئة. الإرهاق الذي يتعرض له المدرّس والطلاب على حد سواء بطول فترة الدراسة اليومية في المدرسة. عدم توفر الأجواء المريحة للطلاب في بعض المدارس، كعدم مناسبة المقاعد لهم، وعدم توفر المظلات الشمسية، وسوء أوضاع المقصف، فهذه مجتمعة تشجع العنف والتوتر لدى الطلاب، وبالتالي نفورهم من المدرسة وعزوفهم عنها الى حدّ التسرّب. التعليم وعلم الاجتماع :

لقد ركزت جل نظريات التعلم على البعد الفسيولوجي و العقلي و العاطفي للطفل بشكل يعتبره متحكما في ميكانيزمات تعلمه و طرق اكتسابه للمهارات و المعارف. لكن و موازاة مع ذلك، يعيش الإنسان عموما حياته في جماعة أو جماعات لها مرجعيات دينية و ثقافية مختلفة يتأثر بها و يتحدد سلوكه الاجتماعي على أساس السلوك العام المتفق عليه داخلها و التي قد تفرضه العادات و الأعراف و القوانين...

هـ _ بُعد الوضوح: فإما أن تكون القيمة واضحة صريحة يمكن أن نعبر عنها بالكلام، وإما بالسلوك الواضح الذي لا يحتاج إلى تفسير ولا يقبل التأويل، وإما أن تكون القيمة متلبسة بمعان، أو قابضة خلف سلوك يمكن تأويله أو تفسيره على غير وجه. أو نحتاج معه إلى جهد في ملاحظة مدى تكرار هذا السلوك الذي يتكرر ويثبت حتى يصبح عادة. والعادات تفسيرها صعب. ويقع خلف كل عادة ما لا يحصى من العوامل، والقيمة لا شك أحدها بل قل أهمها وأقواها.

و _ بُعد الدوام والاستمرار: وهذا البعد عندها، لا يهمل القيم التي لا تعمر طويلا، أو القيم الأسرع تغيرا، إلى جانب القيم الدائمة التي يتوارثها أبناء المجتمعات جيلا عن جيل. ورغم أننا أثبتنا عددا من التصنيفات لكن يجب أن لا يفوتنا ذكر أن هذه التصنيفات غير متفق عليها، ورغم ذلك فإن ما لم نذكره أكثر مما ذكرناه. وفي هذا المجال لا بد من الإشارة إلى بعض الصعوبات التي تواجه علماء الاجتماع في تصنيفهم القيم، ومنها طغيان الكثير من المفاهيم الفلسفية ومصطلحات الفلاسفة على دراسة القيم. وقل الشيء نفسه بالنسبة لعلم الاقتصاد. إضافة إلى عدم قدرة الباحث الاجتماعي على أن يسئل المفاهيم الخاصة به في مجال القيم من علوم تداخلت مع علم الاجتماع في البحث عن مفهوم القيمة وما يتعلق بها من مثل: علم النفس وعلم التربية... إلخ. حتى اضطروا إلى متابعة الدراسات المختلفة في علم النفس حول موضوع القيمة والتي عادة تختلط عند متابعي الدراسات النفسية أيضا. وفي هذا يقول الدكتور عبد اللطيف خليفة: "إنه سيحاول توضيح مفهوم

تقليدية يكتسبها المرء بالتعاطي، وإما أن يُعْمَل عقله فينتقي أو يبتكر.

3. تصنيفها عند عالم الاجتماع الأمريكي "روبرت رودفيلد" [1897م-1952م]: ولقد جارى روبرت رودفيلد نيلسون إلا أنه ربط تصنيفه بالمجتمع أكثر مما ربطه بالفرد، فكانت القيم عنده نوعين: قيم مرتبطة بالمجتمع الشعبي القديم الذي تسوده القيم التقليدية، وقيم أخرى مرتبطة بالمجتمع الحضري الذي تسوده قيم محدثة عصرية).

1- تصنيف الدكتور فوزية دياب: اعتمدت الدكتورة دياب في تصنيفها على أبعاد القيم، ورصدت أبعادا عدة يمكن النظر إلى القيم على أساسها وهي:

أ _ بُعد المحتوى: أي ما تنطوي عليه القيمة، من مثل: القيم النظرية، أو الاقتصادية أو الجمالية...

ب _ بُعد المقصد: ويشمل نوعين من القيم: الواسائية والغائية. وهذا يعني أن هناك قيما يمكن أن تكون وسيلة لقيم أخرى تشكل هدفا بعيدا.

ج _ بُعد الشدة أو القوة: والمقصود بذلك مدى درجة الإلزام التي تفرضها القيمة، ومن الممكن أن تقابل مفهوم شدة الإلزام هذه بما يعرف في الفقه الإسلامي بدرجة الحكم: واجب/مندوب/مكروه. وحتى الكراهة توصف بـ "كراهة تحريمية، أو كراهة تنزيهية".

د _ بُعد العمومية أو الشيع: وهي بذلك تجاري الصفة الأساسية التي بنى عليها كلوكهون تصنيفه القيم، أي صفة مدى الانتشار.

ويبدو واضحا أن الداعي إلى مبحث نسق القيم هو الحاجة إلى دراسة القيم المرتبطة بقيمة معينة إذا أردنا دراستها. فالباحث لا يمكنه أن يقف على حدود قيمة معينة ما لم يربطها بقيم أخرى عند الفرد والجماعة.

ثم كانت حاجات الفرد (البيولوجية) تحتل الرقم الأول في سلم القيم الإنسانية، وبعد ذلك تأتي القيم الأخرى الثانوية مثل القيم الاجتماعية والأخلاقية... إلخ. وهذا ما قال به فريق منهم. أما الفريق الآخر فيرى أن نسق الاعتقاد يعتبر نسقا شاملا للاتجاهات والقيم وأنساق القيم. كما يرى أن هناك نسقا للقيم الغائية ونسقا آخر للقيم الوظيفية.

أما عن كيفية اكتساب نسق القيم، فإنهم يقسمون ذلك إلى عدة عوامل أو محددات هي:

(1) البيئة الطبيعية والاجتماعية: باختلاف المؤثرات الطبيعية والاجتماعية تورث- عند الفرد حتما اختلافا في نسق القيم. وهناك من يرى منهم أن القيم ما هي إلا نتاج ثلاثة مستويات اجتماعية:

* الثقافة: حيث تحدد مستواها عند الفرد القيم الجديدة بالرغبة فيها.

* الأسرة: حيث تؤدي دورا مهما في توجيه أبنائها نحو قيم معينة. ومنها النسب وعلاقة أعضاء الأسرة ببعضهم.

* عوامل اجتماعية فرعية من مثل: المستوى الاقتصادي، درجة التدين، الجنس، المهنة، مستوى التعليم.

القيمة من خلال التمييز بينه وبين غيره من المفاهيم التي عادة يختلط بها من مثل: القيمة والحاجة- القيمة والاهتمام - القيمة والمعتقد - القيمة والسلوك - القيمة والاتجاه - القيمة والسمة- القيمة والدافع

هذا فضلا عن عجز أي علم عن إدراك كل القيم بأنواعها، ذلك أن القيم مرتبطة كما بينا سابقا بالإنسان، والإنسان مختلف من مجتمع لآخر وداخل المجتمع الواحد: مختلف في شخصيته، وثقافته، ومعتقداته، فإذا لم يكن هناك جامع مشترك بين النوع البشري في مسألة مصدر القيم، وفي مسألة الغاية من وجوده، فلا يمكن أن يكون هناك قدرة على تصنيف القيم التي تصدر عن مصادر مختلفة، وإلى غايات مختلفة. وأمام صعوبة تصنيف القيم، يرى بعض الباحثين في علم الاجتماع من مثل "هندرسون": "أن أي تصنيف كان، خير من عدم التصنيف.

ارتقاء القيم عند علماء الاجتماع:

إن الوقوف على الصيغة الأساسية التي يكتسب في ظلها الأفراد أنساق قيمهم ما زال أمرا يتعامل معه الباحثون من منظور التعقيد، ومن ثم العمومية الشديدة التي يعجز المرء من خلالها عن الوقوف على (ديناميات) عملية الاكتساب لدى الأفراد والجماعات.

ويعرف الدكتور عبد اللطيف محمد خليفة نسق القيم بعد أن استعرض عددا من التعريفات على أنه "عبارة عن البناء أو التنظيم الشامل لقيم الفرد، وتمثل كل قيمة في هذا النسق عنصرا من عناصره. وتتفاعل هذه العناصر معا لتؤدي وظيفة معينة بالنسبة للفرد.

وقد أجريت هذه الدراسات على مدى خمس سنوات على عينة من الذكور البيض وتوصلوا من خلالها إلى ترابط بين الطراز البدني وصفات خلقية، كالتسامح والرضى ودماثة الطبع.

وبالعودة إلى ما ذهب إليه علماء الاجتماع في تعريفهم القيمة، وفي تصنيفهم القيم، وفي نظرهم لارتقائها عند الشخص، وعند الجماعة، نرى أن توجه العناية إلى الأمور الآتية:

(1) إن نظرة علماء الاجتماع للقيم على أنها الأسس المتينة للبناء الاجتماعي توافق النظرة الإسلامية وإن كانتا تختلفان اختلافاً بيناً في مصدر هذه القيم، فهناك قيم إسلامية في الجانب الاجتماعي تسهم في بناء مجتمع متكامل متكافل: أن يحبّ المؤمن لأخيه ما يحب لنفسه: (لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ) والترغيب في أن لا ينام المسلم على شبع، وجاره جائع "ليس المؤمن بالذي يشبع وجاره جائع إلى جنبه" ([32])، "إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوّجوه" ([33]) "...ومن فرّج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كربات يوم القيامة..." ([34]).

(2) إن القيم عندهم، يحتل فيها الحيز الشخصي الفردي مكانة رفيعة، وكذلك في الفلسفة البراجماتية وديمقراطيتها، فإن للفرد الحق في العمل على تحويل قيم المجتمع فيما يتفق مع مصالحه.

وهكذا نرى مرة أخرى أن المصالح الفردية هي الغالبة، فيحاولون إلباسها لبوساً جماعياً، وتصبح المصلحة الشخصية مرجعاً في بناء القيم.

(2) العوامل أو المحددات (السيكولوجية): وتشمل العديد من الجوانب، كسمات الشخصية ودورها في تحديد التوجهات القيمة للأفراد بناء على التحليل النفسي الذي يعتبر أن القيم تختزن في الجزء المثالي للشخصية، والذي يتسم بالصرامة. فالنسق القيمي لدى الراشد يعبر عما يتمثله الفرد من قيم ومعايير المجتمع الملزمة، بناء على الاهتمام والتفضيل في جلب كل ما هو إيجابي، والابتعاد عن كل ما هو سلبي. وبناء على طريقة تعلّم الطفل، يرى أتباع "هولاء" الجدد أن الارتقاء الخلقي هو نتاج التوحد العام للطفل مع والديه. فمع رعاية الوالدين له واحتضانهم إياه، فإنه يقلد أو يحاكي إلى حد بعيد سلوكهم السلوكية لكسب رضاهم وحبهم... وهل قرأ "هول" وأتباعه قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "كل مولود يولد على الفطرة... والمثل السائر: "الولد سر أبيه".

(3) العوامل أو المحددات البيولوجية: وتعتمد على مراحل النمو الجسدي والصفات الجسمية كالطول والوزن... إلخ حيث يصاحب ذلك تغير في القيم وفي نسقها وفي هذا المجال يرون أي علماء الاجتماع أن الصفات الجسدية واختلاف الوراثة الفردية لكل شخص تُحدث فروقات في الميول والاهتمامات وبالتالي القيم.

وتؤكد بعض الدراسات بناءً على نتائج بحوث أجريت في هذا الصدد، أهمية بعض الملامح الجسمية للفرد " كالطول والوزن والحجم. ويوافق هذا ما توصلت إليه دراسات أخرى من أن الفروق الجسمية توجب فروقا في الخصائص الشخصية ومن ثم في القيم عند الشخص.

يرى الأنا عنده أساسا، وذلك يراه مادة مرتبطة بالعالم المشهود، وغيره لا يقطعه عن عالم الماوراء.

ومع هذا الاضطراب، يستحيل أن يحالفهم الصواب. وقد بينا نظرة الإسلام للإنسان ولوجوده وغايته، وهذا بيت القصيد في فهم كل ما يتعلق بالإنسان. وسنعرض لتصنيف القيم إسلاميا في مبحث "القيم إسلامياً".

أما حول مسألة ارتقاء القيم وأنها -أساساً- تبنى على صراع بين القيمة والقيمة- وهذا متعلق ومتأثر بالعديد من العوامل الشخصية والاجتماعية والبيئية- ففي الإسلام لا يمكن أن يكون ذلك على إطلاقه. وإن صح في فئة أو مجموعة من القيم، فإنه لا يمكن أن يصح في القيم التي تتصف بالثبات والأولوية. فالقيم الإسلامية الأساسية واحدة من حيث الترتيب عند عامة المسلمين. أما القيم الثانوية فلا بأس في اختلاف مراتبها من مسلم لآخر. وذلك وفق اهتمامات كل منهم. وإن كنا نقر بأهمية الفروقات الفردية جسمياً ونفسياً ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ [البقرة: 247/2]، إلا أننا نجزم أن هذه الفروقات تزول أمام القيم الأكبر والأهم. فقد يصدر عن ضعيف البنية ما لا يصدر عن قويها، وهذا سيدنا ابن مسعود صاحب الساق الدقيقة كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكَ مِنَ الْأَرَاكِ وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ فَجَعَلَتْ الرِّيحُ تَكْفُؤُهُ^[35] فَصَحَّكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مِمَّ تَصْحَكُونَ؟ قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، فَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحَدٍ"^[36]. ألم نر كيف أبلت هاتان الساقان في الإسلام؟! وكيف أعلى صاحبهما شأن الإيمان؟!

والفكر الإسلامي ينكر هذا أشد الإنكار، حيث لا صراع بين الفردي والجماعي، ولا يمكن لفرد أو جماعة أن تسوق الأمور إلى ما يوافق مصلحتها. والمرجع في كله ذلك هو شرع الله عز وجل. فلو قال أهل الأرض جميعا بما يخالف حكما شرعيا مبني على نص قطعي الثبوت قطعي الدلالة فلا قيمة لقولهم. ولقد ذم القرآن الكريم الأكثرية في آيات كثيرة: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 187/7]، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: 24/21].

(3) إنَّ القيم — عندهم — ولادتها، وبقائها، أو زوالها، مرتبط بعوامل الصراع الاجتماعي الذي يأخذ أشكالا متعددة، وإن كان الصراع — التدافع — سنة من سنن الله عز وجل في البناء الاجتماعي. ومن المسلم به أنه لولا التدافع لفستت الأرض ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض...﴾ [البقرة: 251/2] إلا أن هذا التدافع محكوم بقواعد وأصول وقيم إسلامية. فينتج عن هذا الصراع أو التدافع صلاح وبقاء، أما إذا كانت منطلقات الصراع وأساليبه ووسائله، مرجعها مصالح فردية، أو جماعية ضيقة، فإن ما ينتج عن هذا الصراع دمار وخراب على كل المستويات المادية والنفسية... إلخ.

(4) أما حول تصنيفاتهم، فإننا نرى أنهم يشترقون ويغربون. فمنهم من اعتمد على عامل الانتشار والانحسار، وآخر اعتمد التقليدية أو الحداثة، وثالث اعتمد في تصنيفه الفردية أو الجماعية... ورابع اختار أبعادا متعددة.

ونرى أن هذه التصنيفات جاءت بناءً على نظرات جزئية قاصرة عن فهم الإنسان، فهذا يراه اجتماعياً، وذاك

وأكد أشبه علاقة المسلم بالقيم الإسلامية في هذا المجال على الشكل التالي: القيم سلم، أعلى درجاته لا إله إلا الله محمد رسول الله، ويأتي تحتها مختلف القيم الأخرى. والمسلم تراه يستمسك بهذه مرة وبذلك أخرى. وهكذا تكون القيم ثابتة وهو الذي يغير موقعه بالنسبة لها.

5. الخاتمة: للقيم دوراً مهماً في تكوين شخصية الفرد تكويناً فعالاً في نضجها وبلورتها في مواقف حياتية مختلفة، إن وظيفة المدرسة خطيرة يميزها موضوعها الذي هو الإنسان الذي تحضنه في أكثر مراحل حياته أهمية، والمدرسة تميزها أدواتها ووسائلها، وهي المعارف والقيم، وأهدافها التي هي تكوين الإنسان الصالح المصلح الذي يحمل المعارف والقيم والمبادئ، ومن ثم فإن الرهان قائم على المؤسسة التربوية في بلوغ ذلك الهدف، إلا أن تنمية القيم في المدرسة اليوم، يطرح إشكالات عدة، سواء على مستوى علاقة القيم بالممارسة، أو على مستوى مقاربتها البيداغوجية والمنهجية، وتكريسها في الحياة المدرسية، يتمثل هذا الإشكال من حيث الممارسة، كيفية تحقيق المدرسة لوظيفتها التربوية في التنشئة الاجتماعية، عبر أساليب إيصال المناهج والبرامج الدراسية والتكوينية بكل مكوناتها الإنسانية والاجتماعية والنفسية. ومن المؤسسات التربوية المهتمة بهذه الممارسة (اكتساب القيم) هي المدرسة أو قلعة المجتمع الحصينة التي تحافظ على وجوده وبقائه، وذلك من خلال مناهجها التربوية الدراسية المختلفة، فالمتعلم يكتسب مرجعيةً تحدد مساراته السلوكية المختلفة في المواقف المختلفة بحسب القيم التي يتبناها في حياته الخاصة والعامة، فالقيم التربوية هي التي تحدد الإيديولوجية العامة للمجتمع أو ما تسمى بالسياسة

ونرى أن النمو الجسدي يرتبط به الكثير من الأحكام الشرعية، وبالتالي لا يمكن أن تكون القيم واحدة عند البالغ وعند الصغير غير البالغ، وكذلك عند الشيخ المتقدم في السن.

وإن كنا نُسَلِّم أن الإنسان دالة متغيرة، وأن الإيمان يزيد وينقص ﴿وَإِذَا ثَلَيْتُ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: 2/8]، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبه يرفع الناس إليه فيها أبصارهم وهو مؤمن" ([37])، وقوله عليه الصلاة والسلام رداً على الصحابي الجليل حنظلة الأسدي الذي اشتكى تغير حاله بعد الذهاب من عنده صلى الله عليه وسلم "... والذي نفسي بيده! أن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة! ساعة وساعة" ([38]).

فالإيمان يزيد وينقص، والزاني لا يزني وهو مؤمن، وحالة الصحابة الإيمانية تتغير، ولكن سلم القيم في الإسلام لا يخضع للهوى، ولا تتحرك درجاته وفقاً لرغبة فرد أو جماعة.

فالإنسان يرتقي بالقيم الإسلامية. والقيم دائماً في عملية شد له للأعلى، وعندما يهبط سلوك المسلم لا تهبط القيمة الإسلامية معه، بل تشكل حبل نجاة له من الوصول إلى الدرك الأسفل، فإذا تمسك بها نراه يعود صعوداً آملاً مغفرة الله عز وجل.

- التربية العامة للدولة، وهي ما تولد منظومةً قيمية تربوية تزرعها في أفرادها المتعلمين.
6. المصادر :
- 1- لقران الكريم:
- * سورة البقرة.
- * سورة الأنبياء.
- * حديث الرسول صلى الله عليه وسلم.
- المراجع:
- 1- ذياب فوزية ، القيم والعادات الاجتماعية، ب ط، دار النهضة، بيروت، 1980، ص18.
- 2- عبد الحميد علي أحمد ، التحصيل الدراسي وعلاقته بالقيم الإسلامية التربوية، ط1، مكتبة حسين العصرية، بيروت ، 2011، ص143.
- 3- النقيب إيمان غربي، القيم التربوية في مسرح الطفل، ط1، دارالمعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2010، ص13.
- 4- الجموعي مومن بكوش، القيم الاجتماعية مقارنة نفسية إجتماعية، أطروحة دكتوراة ، علم الاجتماع ، جامعة الوادي، الجزائر، 2018.
- 5- سوزان ستيتكيفيتش ، القصيدة العربية وطقوس العبور: دراسة في البنية النموذجية، دمشق ، مجلة مجمع اللغة العربية ، م جلد 6 ، عدد 1 ، كانون الثاني 1985 .
- 6- ابن منذور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب ، لبنان ، ابع، دار صادر، ط بيروت ، المجل 1 ، 1990 .
- 7- دكتور إبراهيم أنيس ، المعجم الوسيط ، القاهرة ، باب الجيم ، بدون طبعة ، 1972.
- 8- جميل حمداوي، سوسيولوجيا التربية، منشورات حمداوي الثقافية، تطوان، 2018
- 9- القيم والإعلام، بحث مقدم إلى المؤتمر الثقافي العربي السابع، جامعة السلطان قابوس، مسقط، دار الجليل، بيروت، 2002.
- 10- عبد الباسط عبد المعطي، عرض تحليلي مفهوم القيمة في علم الاجتماع، المجلة الاجتماعية القومية، العدد 1970.
- 11- ضياء زاهر ، القيم في العملية التربوية ، مؤسسة الخليج العربي، القاهرة، 1984..
- 12- جميل عيسى الملائكة، اللغة العربية ومكانتها الإسلامية في الثقافة العربية، رقم العدد: 1082 الموضوع: أدب وثقافة، 6.
- 13- يحيى توين مرتضى، أثر العربيّة في ثقافة المسلمين، مجلة: إسهامات اللغة والأدب في البناء الحضاري للأمة الإسلامية، ماليزيا: دار التّجديد للطباعة والنّشر والترّجمة. 2007.